ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2021) Vol (12) Issue (3) section (1) : 183-197
https://doi.org/10.25130/jis.21.12.3.1.9

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

ISSN:2073-1159 *(Print)* *E-ISSN*: 2663-8800 *(Online)*
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http://jis.tu.edu.iq

ISJ

The Sociolinguistic Perspective in Abu AL-Brakat AL Anbary of Linguistic Analysis in his Book "Asrar AL Arabia"

Dr. Hoda S. Rashid *

Department of Arabic Language, College of Education for Girls, University of Tikrit, Salah Al-Din, Iraq .

KEY WORDS:

Sociolinguistics, Abu Al-Barakat, the semantic note, the culture of society, the context.

ARTICLE HISTORY:
Received: 3/1 /2021
Accepted: 18/ 1 / 2021
Available online: 12/ 4 /2021

ABSTRACT

This paper seeks to clarify the role of Ibn al-Anbari in Syntactical analysis, by monitoring the sporadic references and hates in his book Asrar al-Arabiyya, which refer to Ibn al-Anbari's alertness and attention to the social aspect of the method of syntactical analysis, in light of sociolinguistics.

This research has answered the following question: Did Ibn Al-Anbari pay attention to the social dimension in setting the criteria for the syntactical system?

The importance of the research lies in its contribution to reviving one of the origins of the linguistic lesson among Arab grammarians through the work of Ibn Al-Anbari in the secrets of Arabic in particular.

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

* Corresponding author: E-mail: **Drhudarasheed@gmail.com**

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2021) Vol (12) Issue (3) section (1) : 183-197
https://doi.org/10.25130/jis.21.12.3.1.9

الوجهة الاجتماعية في منهج التحليل النحوي عند أبي البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) في كتابه أسرار العربية

أ.م.د. هدى صلاح رشيد

قسم اللغة العربية, كلية التربية للبنات, جامعة تكريت, صلاح الدين, العراق.

الخلاصة:

يسعى هذا البحث إلى بيان دور ابن الأنباري في التحليل النحوي ، من خلال رصد الإشارات والملاحظات المتفرقة في كتابه أسرار العربية ، التي تشير إلى تنبه ابن الأنباري وعنايته بالجانب الاجتماعي في منهج التحليل النحوي ، في ضوء اللسانيات الاجتماعية .

أجاب هذا البحث عن السؤال التالي : هل التفت ابن الانباري إلى البعد الاجتماعي في رسم معايير النظام النحوي ؟

وتكمن أهمية البحث ، في مساهمته في إحياء أصل من أصول الدرس اللغوي عند النحاة العرب من خلال عمل ابن الانباري في أسرار العربية خاصة.

الكلمات الدالة: علم اللغة الاجتماعي, أبو البركات, الملحظ الدلالي, ثقافة المجتمع, السياق.

المقدمــة

يعد علم اللغة الاجتماعي من أوثق العلوم ارتباطا باللغة ، نظرا لأن اللغة هي مرآة المجتمع ، لذا فإنها تعكس ثقافة المجتمع بكل تفاصيله ، لذا تروم هذه الدراسة أن تبين عناية **أبي البركات الانباري** بالوجهة الاجتماعية في التحليل النحوي ، وذلك برصد الإشارات والملاحظات المتفرقة التي ضمّنها كتابه **(أسرار العربية)** ، والتي تبين التفاته إلى الجانب الاجتماعي للغة وعنايته بهذا الجانب .

وقد قمنا بجمع هذه الإشارات ووضعها في إطار نظري يشكل نظرية في **الوجهة الاجتماعية في منهج التحليل النحوي عند أبي البركات الانباري.**

وتكمن أهمية الموضوع في رصده لواحدة من أدوات التحليل التي اعتد بها التراث النحوي العربي ، ألا وهو المنهج الاجتماعي ، وبرز فيه دور الوقائع الخارجية (غير اللغوية) في صياغة القاعدة النحوية أو اعتمادها مسوغا للخروج عن الأصل.

فالسؤال الذي أجاب عنه هذا البحث هو : هل التفت النحاة العرب ـ ممثَّلين بأبي البركات الانباري ـ إلى البعد الاجتماعي في وصف قواعد اللغة العربية ورسم معايير نظامها النحوي ؟ ثم ما مدى العمق الذي نفد إليه في بيان وجود العلاقة بين النظام النحوي والمحيط الخارجي؟

وقد اعتمدنا على تقسيم البحث على فقرات يسهل تناولها ، وعلى النحو الآتي :

- ❖ علم اللغة الاجتماعي . مقدمة تعريفية .
- ❖ علم اللغة الاجتماعي عند أبي البركات الانباري.
- ❖ الملحظ الدلالي (المعنى).
- ❖ اللغة وثقافة المجتمع.
- ❖ السياق وأثره في التحليل اللغوي ، ويتضمن:

أ. الخطاب وأمن اللبس.

ب. حال المخاطَب.

جـ . الحال المشاهدة.

ثم خاتمة تضمنت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج

علم اللغة الاجتماعي ـ مقدمة تعريفية:

برز علم اللغة الاجتماعي إلى الوجود في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن الماضي، ومنذ ذلك الوقت وهو يزداد نموا واتساعا وتحديدا ، ولا سيما أن ظهوره جاء رد فعل على الدراسات البنيوية ((التي اقتصرت على النظرة التجزيئية للغة باعتبارها نسقا منسجما))[١] ،فجاء علم اللغة الاجتماعي ليلقي نظرة أخرى على الكلام أو التلفظ ، رابطا بين اللغة والمكون الاجتماعي.

ويعدُّ هذا تأكيدا للدور الذي يقوم به علم اللغة الاجتماعي في سد الكثير من جوانب النقص التي أصابت النظرة البنيوية للغة ، فجاء كاشفا عن طبيعة اللغة وطبيعة المجتمع.

وقد اجتهد علماء اللغة الغرب في بلورة الإطار النظري لهذا العلم ، إلا أنَّ الخطوة الحاسمة في نشأته ارتبطت بأبحاث اللساني الأمريكي ويليام لابوف ١٩٢٩م ، الذي تنبه إلى أهمية ربط بنية للغة من اللغات بالسياق الاجتماعي الذي تنشأ فيه [٢] .

وقد أعطى العلماء لهذا العلم تعريفات متعددة ، فيعرفه فيشمان بأنَّه ((علم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني : استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك ، ويركز على الموضوعات التي ترتبط بالتنظيم الاجتماعي لسلوك اللغة ، وهذا لا يشمل استعمال اللغة فحسب ، وإنما يشمل أيضا الاتجاهات والسلوكيات الصريحة تجاه اللغة وتجاه مستعملي اللغة))[٣] ، وبهذا فهو يُعنى بالمتكلم واللغة المستعملة ، والمخاطَب وزمن التكلم ، وما ينتهي إليه الكلام .

ويعرفه هدسن بأنَّه عبارة عن ((دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع))[٤].

ويعرفه محمد الخولي بأنَّه فرع ((من علم اللغة التطبيقي ، يدرس مشكلات اللهجات الجغرافية ، واللهجات الاجتماعية ،والازدواج اللغوي ، والتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع))[٥] .

لذا يمكن القول : إنَّ علم اللغة الاجتماعي عدّ اللغة أداة تواصلية داخل المجتمع ، تقع ضمن شبكة من العلاقات التواصلية ، ولذا فهو يُعنى بالوقائع اللسانية بدراسة اللغة التي

---

(١)علم اللغة الاجتماعي ـ مدخل نظري : ٦

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٦ ، محاضرات في اللسانيات الاجتماعية : ٥

(٣) علم اللغة الاجتماعي ـ مفهومه وقضاياه : ١٥.

(٤) علم اللغة الاجتماعي / هدسن : ١٢.

(٥) معجم علم اللغة النظري: ٢٦١.

تستعملها الجماعة اللغوية ، متمثلة بدراسة اللغة في واقعها اليومي ، وتسجيل استعمالات المتكلمين بها.

فهو يبحث عن الكيفيات التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع والنظر في المتغيرات التي تصيب بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة ، لذا يرى مالينوفسكي أنَّ دراسة اللغة والاتصال الكلامي يتطلب أسساً نظرية يظهر فيها الفعل الحاسم لكلِّ العوامل الاجتماعية والثقافية المؤثرة فيها ، لأنَّ ((المعضلة الحقيقية التي تواجه اللغويين تتمثل في تركيزهم الزائد على الكلمات))[١] .

وأراد مالينوفسكي أن يردَّ على مَن يفصل بين اللغة ومتطلبات الموقف الاجتماعي الموقف الاجتماعي ، ويرى أنَّ هذا الفصل هو مسألة وهمية ، عندما يتساءل قائلا : ((إذا كانت الوظيفة الرئيسية للكلام ، هي توجيه العمل الجماعي أو إرشاد النشاط الإنساني فكيف إذن نفصل ذلك عن سياقات مختلف المواقف وما تعكسه من مغزى ودلالات !))[٢] .

أما قيمة علم اللغة الاجتماعي ، فيكمن في قدرته على إيضاح طبيعة اللغة بصفة عامة ، مما يسمح لدارسي المجتمعات أن يدركوا الحقائق اللغوية وقدرتها على التوسع ، يقول د. كمال بشر :((وفي يقيننا أنَّ علم اللغة الاجتماعي في مقدوره أن يسدَّ هذه النواقص التي عانى منها علم اللغة على فترات مختلفة من الزمن ، وفي يقيننا كذلك ـ تابعين في ذلك هدسن ــ أنَّ دراسة اللغة دون الرجوع إلى السياق الاجتماعي ، جهد لا يستحق العناء))[٣].

يتبين ممّا تقدم أنَّ علم اللغة الاجتماعي يتخذ أشكالا مختلفة ، وينطلق من علاقة جدلية تربط اللغة بالمجتمع ، بإحاطته بكلِّ شيء ، فهو يعنى بالوحدات الاجتماعية كافة ، القبائل والامم واللهجات والطبقة الاجتماعية والمتكلم واللغة التي يستعملها ، والمخاطَب وزمن التكلم ، والبنية اللغوية وعلاقتها بثقافة المجتمع ، والعلاقة بين اللغة والعادات الاجتماعية ، وكلّ ما من شأنه أن يفسر الوظيفة الاجتماعية للغة .

علم اللغة الاجتماعي عند أبي البركات الأنباري :

تنبه اللغويين العرب إلى علاقة اللغة بالمحيط الاجتماعي والثقافي ، فاللغة عندهم ظاهرة اجتماعية تتأثر بعادات المجتمع وتقلباته وأحواله المختلفة ، وفي كتب التراث

---

(١) اللغة في الثقافة والمجتمع : ١٤٢.

(٢) علم اللغة الاجتماعي / هدسن : ٢٠.

(٣) علم اللغة الاجتماعي / د. كمال بشر : ٦٦. ٦٧.

اللغوي العربي الكثير من الأمثلة التي تؤيد ذلك ، ولأنَّ هذه الجهود الكبيرة لا يمكن حصرها ، لذا اخترنا واحداً من هؤلاء العلماء وهو (أبو البركات الانباري (ت ٥٧٧هـ) لنكشف من كتابه (أسرار العربية) عن معرفة النحاة العرب بالعلاقة بين اللغة والمجتمع ومدى اعتدادهم بهذه العلاقة في تقعيد القواعد النحوية ، وصياغة الامثلة ، وتعليل الظواهر اللغوية .

تنبه الأنباري ـ شأنه شأن غيره من علماء العربية ـ في وصفه العربية ورسم معايير نظامها النحوي ، إلى محيط الحدث الكلامي وسياقه ، والمتغيرات الخارجية التي تكتنف مادة الكلام ، إلى جانب عنايته ـ بالدرجة الاولى ـ بالبناء الداخلي للمادة الكلامية ، فقد مزج بينهما مزجا متناسبا ومتكاملا ، وفي كتابه (اسرار العربية) صور من التحليل الذي تجاوز فيه التحليل الداخلي للغة إلى أوسع من ذلك ، من خلال التفاته إلى المعنى ، واستعماله الصيغ والأمثلة والمفردات التي تعكس ثقافة المجتمع آنذاك ، وما تدل عليه من نظام المجتمع العربي وما تحمله من عادات ، هي من صلب الحضارة العربية .

وتطرّق الأنباري إلى المتغيرات والمعطيات التي تكتنف الموقف الكلامي ، فتعترض الكلام ، وأثر هذه المتغيرات في صياغة القاعدة النحوية، فيبرر الخروج عن الحكم النحوي بمسوغ الموقف الكلامي.

وعلى هذا ارتأيت عرض التفاتات أبي البركات الأنباري وإشاراته في إطار نظري وعلى النحو الآتي :

- ❖ الملحظ الدلالي (المعنى).
- ❖ اللغة وثقافة المجتمع.
- ❖ السياق وأثره في التحليل اللغوي ، ويتضمن:

أ. الخطاب وأمن اللبس.

ب. حال المخاطَب.

جـ . الحال المشاهدة.

الملحظ الدلالي (المعنى) :

يعدُّ المعنى من العوامل الحاسمة والمؤثرة في استعمال اللغة ،وهو الذي يوجهنا عند اختيار المفردات لنعبِّر بها عن معنى من المعاني ، ولولا حاجة الناس إلى المعاني وإلى التعاون والترافد لما احتاجوا إلى الأسماء[١] ، ولذلك كانت غاية اللغة القصوى التفاهم : ((فنتكلم أو نكتب لبيان أفكارنا وإيصالها إلى فهم السامع أو القارئ ولا بد لنا في هذا من

(١) ينظر : الحيوان ٢٠١/٥.

استعمال الجمل، فإنها صور للفكر خطابا وكتابة ذلك لأن الجملة تحتوي على شيئين ألفاظ منسوقة على ترتيب مخصوص ومعان تقابل تلك الألفاظ ويدلُّ عليها بها))[١].

ويتخذ أبو البركات الأنباري من المعنى ملحظاً في وضع المعايير ورسم الحدود ، وتقرير القواعد ، يتجاوز من خلاله التحليل البنيوي (الشكلي) للتراكيب النحوية .

ومن ذلك ما ذكره في بيان سبب تسمية (الحرف) بهذا الاسم ، فقال معتمداً على التحليل الدلالي : ((فإن قيل لِمَ سُمي الحرف حرفاً ؟ قيل : لأنَّ الحرف في اللغة هو الطرف ، ومنه يقال :حرف الجبل أي طرفه ، فسمي حرفاً ، لأنَّه يأتي في طرف الكلام ، فإن قيل : فما حدَّه ؟ قيل : ما جاء لمعنى في غيره))[٢] .

ومعيار التمييز الذي أقامه لتقسيم الحروف بعد ذلك ، مبني على أساس هذا الملحظ الشمولي ، وذلك أنه قسم الحروف على ستة أقسام ، وفق معطى المعنى ((فمنها ما يغير اللفظ و المعنى ، ومنها ما يغير اللفظ دون المعنى ، ومنها ما يغير المعنى دون اللفظ ، ومنها ما يغير اللفظ والمعنى ولا يغير الحكم ، ومنها ما يغير الحكم ولا يغير لا لفظا ولا معنى ، ومنها ما لا يغير لا لفظا ولا معنى ولا حكما))[٣] .

ونراه يعتدُّ بالمعنى وهو يتكلم عن الفعل (عسى) ، ويعلِّل سبب عدم تصرف هذا الفعل اعتمادا على ملحظ المعنى ، فيقول : ((فإن قيل : فلِم لا يتصرف ؟ قيل لأنه أشبه الحرف ، لأنه لمّا كان فيه معنى الطمع أشبه لعل ، ولعل حرف لا يتصرف فكذلك ما أشبهه))[٤] .

ويتعمق الملحظ الدلالي في منهجه ، فيجعل منه علة يفسر من خلالها حمل معنى فعل على معنى فعل آخر فيعمل عمله، فيحمل (كان) على معنى (وجد) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ﴾[٥]، فقال : ((أي وجد وحدث .... ولا يجوز أن تكون هنا ناقصة ، لأنها لا اختصاص لعيسى في ذلك ، لأن كلا قد كان في المهد صبياً ، ولا عجب تكليم من كان فيما مضى في حال الصبي ، وإنّما العجب في تكليم من هو في المهد في حال الصبي ، فدّل على أنها ههنا بمعنى : وجد وحدث))[٦] .

---

(١) الخواطر الحسان ص: ٦.

(٢) أسرار العربية : ١٢.

(٣) المصدر نفسه : ١٢.

(٤) المصدر نفسه :١٢٦.

(٥) سورة مريم: ٢٩.

(٦) المصدر نفسه : ١٣٤ ـ ١٣٥.

فالمعنى في يد أبي البركات الأنباري عامل مؤثر رئيسي في التركيب اللغوي ، فهو يحدد صيغة اللفظ وبناءه من حيث استعماله بشكل صحيح وتفسير سبب مجيئه على الهيئة التي جاء عليها ، وفي هذا يقول : ((إذا كان المعنى واحداً ، فيكون اللفظ موافقاً أولى ، لأنَّ اختلاف اللفظ يشعر باختلاف المعنى ، وإذا اتفقا ، كان موافقة اللفظ أولى))[١] .

اللغة وثقافة المجتمع :

تعد اللغة مظهرا من المظاهر التي تعكس ثقافة المجتمع ، وهي متنوعة بتنوع الثقافة ، فهي بدوية في المجتمع البدوي ، وحضرية في المجتمع الحضري ، يقول سوسير : ((إنَّ أول ما يسترعي انتباه مَن يدرس اللغات ، إنما هو تنوعها وما يظهر من فروق لغوية ،بمجرد أن يمر المرء من بلد إلى آخر أو حتى من منطقة إلى أخرى في البلد الواحد))[٢].

وهذا يعني أننا نستطيع التعرف إلى ملامح المجتمع الذي حلَّت به اللغة ، لأنّها تعكس صوراً مهمة لمجمل الأوضاع التي سادت وتسود فيه ((فالمعجم اللغوي لأمة ما ، هو في نفس الوقت صورة ملخصة لما تعرفه هذه الأمة في حياتها اليومية ، وكيانها الاقتصادي والسياسي ، وسلوكها الديني والأخلاقي ، وتقدمها العلمي والفني))[٣].

وفي دراسة طبيعة المجتمعات السابقة كالمجتمع العربي قبل الإسلام ، لابد من أن ندرس اللغة ، فدراسة النظم العربية قبل الإسلام تحتاج إلى إلقاء نظرة فاحصة من حيث استعمال الألفاظ وما تدل عليه كلّ كلمة منها من نظام عربي قديم بعينه .

وهذا ما تنبه إليه أبو البركات الأنباري، فذكر الكثير من الألفاظ والتعابير اللغوية التي مثلت حياة العرب آنذاك ، وما تحمله هذه التعابير اللغوية من معطيات العالم الخارجي ، يكون بعضها عاماً مشتركاً ، أو محدوداً مختصاً وفقاً لمدى العلاقة بين هذه المعطيات والحياة الاجتماعية .

وكان ابن الأنباري كثيراً ما يعرض لمثل هذه الظواهر ، محاولاً بيان ما تحمله اللغة من الحياة التي كان يعيشها مستعملوها ، ويستشهد بالألفاظ المتداولة بين الناس ، التي يستعملونها في حياتهم ومعاملاتهم اليومية ، ومن جملة ما ذكره **ثوب خز**[٤] ،

---

(١) المصدر نفسه : ٢٠٥.

(٢) دروس في الالسنية العامة : ٢٨٥.

(٣) اللسان والانسان : ٩٨.

(٤) ينظر :أسرار العربية : ١٠ ، ٢٧٩.

و**الأحمران** في قوله : ((كيف تبيع الأحمران))[١] ، كما ذكر **الدرهم والإزار** [٢] ،وذكر ما كانت العرب تقتنيه من الحيوانات **كالإبل والشاة**[٣] ، وذكر أسماء المدن والأماكن **كحضرموت وبعلبك** [٤] ، كما ذكر أمورا ارتبطت بالحياة العربية **كطنب ونغر**[٥] ، و**الجرموق**[٦] .

ويستمر في عرض الصور الثقافية التي ارتبطت بالحياة العربية ، فذكر ما ارتبط بالعربي وهما **الناقة والدرع** ، مع ذكر صفتهما واجود أنواعهما ، فقال : ((تقول : ناقة هِجان ، ونوق هِجان ، ودرع دِلاص ، ودروع دِلاص))[٧] .

ومن المعلوم أنَّ العرب كانت تختار النوق الهجان ، وهي البيضاء لأنها أكرمها ، كما أن العرب تتفاخر بالدروع إذا كانت دِلاصا أي براقة [٨].

وممّا تقدم يظهر أن النحاة العرب لم يكونوا بمعزل عن الحياة ، فقد حرصوا جميعا ـ وأبو البركات واحد منهم ـ على إيراد هذه الحقائق التي تدل على طبيعة المجتمع آنذاك ، واحتج بالألفاظ والتعابير التي تشير إلى ثقافة المجتمع وطبيعة المعطيات الخارجية بطريقة محددة مختصة دليلاً على قربها من الإنسان .

السياق وأثره في التحليل اللغوي

إنَّ اللغة وهي نظام من العلاقات ، نعمل كما تعمل الآلة التي بواسطتها يتناقل الناس الخبر عن الأشياء ، وتؤكد هذه الرؤية على أهمية السياق أو المقام أو الموقف ، ولغرض فهم وظيفة اللغة ، يصبح من الضروري النظر إليها في إطار عوامل رئيسة ثلاث ينتظمها الموقف ، وهي : المتكلم ، و المستمع ، والأشياء (عناصر الموقف) ، ويقوم الرمز اللغوي بالتواؤم وهذه العناصر ، أي أنه إذا اختلف المتكلم اختلف الرمز اللغوي وفقاً لذلك ، وإذا اختلف المستمع اختلف الرمز اللغوي أيضا ، وهذا ما يصدق على الموقف وأحواله المختلفة .

---

(١) أسرار العربية : ١٤.

(٢) المصدر نفسه : ٦٣ و ٢١٦.

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٥.

(٤) المصدر نفسه : ٦١.

(٥) المصدر نفسه: ٩١.

(٦) المصدر نفسه : ٣٦٠.

(٧) المصدر نفسه : ٦٥.

(٨) ينظر : لسان العرب ٤٣٢/١٣و ٣٧/٧.

وتلقانا في (أسرار العربية) أمثلة كثيرة تجاوز فيها التفسير اللغوي إلى ملاحظة السياق ، إذ نراه يرد التراكيب المخصوصة إلى أنماط لغوية ، فيتسع في تحليلها إلى وصف الموقف الاجتماعي ، فالتفت إلى المخاطَب واحواله ، وضرورة أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال ، وأيقن أهمية الحال المشاهدة ، ودورها في تحليل التراكيب النحوية ، وسنعرض لذلك من خلال ما يأتي :

أ. **الخطاب وأمن اللبس:**

وممّا لا ريب فيه أن النظام اللغوي خلق للإفادة أي لتبليغ أغراض المتكلم للمستمع فهو آلة للتبليغ جوهره تابع لما ولي من أمر الإفادة. (١)

ولا غرابة في هذا ، ما دام شرط الإفادة وعدم اللبس شرطا في كلّ عملية تواصلية شفاهية أو كتابية، لأن "اللغة تبقى لغة في جميع أحوالها، وإذا استخدمت كتابة فليس مهما أن يتم هذا حسب حروف الألفباء ، أو حسب طريقة بريل أو حسب نظام مورس وما إلى ذلك" (٢)، ما دامت تؤدي وظيفتها.

فالمتكلم حين يقصد إفهام المخاطب رسالته اللغوية ، فإنه يرتبها على منوال لا يدع معه للبس مجالا حتى يدرك مقاصده ذلك الإدراك الذي يتوخاه، فالالتباس ممنوع أبداً لمنافاته القصد من وضع اللغة، " وأما سهولة الفهم فشرط أولي وضروري أيضا بما أنه غاية اللغة ومطلب من مطالبها المقصودة بالذات وهو دليل على ارتقائها وارتقاء أهلها " (٣).

.(٣)

وتنبه أبو البركات الأنباري إلى مسألة أنَّ الكلام الذي يوجه الى المُخاطَب لا بد من أن يكون كلاماً مفهوماً ، بحيث لا يلتبس فهمه على السامع ، أو يحتمل أوجهاً مختلفة من التحليل ، لذا كان يعلل الكثير من الصيغ والتراكيب بأنها جاءت على هذه الشاكلة مراعاة لحال السامع ، ومن اجل ازالة اللبس .

وهذا ما نطالعه ونحن نقلب العديد من المسائل التي عرضها ، ومن ذلك تعليله مسألة الإعراب في الأسماء ، فيقول : ((الأصل في الاعراب أن يكون للأسماء دون الأفعال والحروف وذلك لأن الأسماء تتضمن معاني مختلفة ، نحو الفاعلية ، والمفعولية ، والاضافة ، فلو لم تعرب لالتبست هذه المعاني بعضها ببعض))(٤) .

---

(١) ينظر :نظرية النحو العربي ، نهاد الموسى ص،٨٧

(٢) ينظر : اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز ص،٢٦.

(٣) الخواطر الحسان ص، ١٦.

(٤) اسرار العربية ٢٤.

ومن خلال هذا النص نراه يعلل سبب الإعراب في الأسماء ، مراعيا المخاطَب ، وذلك لأنَّ التباس المعاني إنما يدركه السامع .

وهذا ما يظهر بشكل جلي عند حديثه عن استتار الضمير عند الإفراد ، وإظهاره عند التثنية والجمع ، فيقول : ((فإن قيل : فلِم استتر ضمير الواحد نحو : "زيد قام " وظهر ضمير الأثنين ، نحو : " الزيدان قاما " وضمير الجماعة ، نحو : " الزيدون قاموا "))[١]. فيعلل ذلك معتمدا على جلاء المعنى للسامع ووضوح الخطاب وعدم اللبس ، ففي الحالة الأولى عندما يكون الاسم مفردا ، فإنَّ السامع لا يلتبس عليه الامر ، لذا يأتي الضمير مستترا ، بينما في الحالة الثانية والثالثة فإنَّ المتكلم لا بد له من إظهار الضمير مراعاة للسامع حتى لا يلتبس عليه الكلام ، فيقول : ((إذا قدمت اسماً مفردا على الفعل ، نحو : " زيد قام " لم يحتج معه إلى إظهار ضمير ، لإحاطة العلم بأنه لا يخلو من فاعل واحد ، فإذا قدّمنا اسماً مثنى على الفعل نحو : " الزيدان قاما " أو مجموعا ، نحو : " الزيدون قاموا " وجب إظهار ضمير التثنية والجمع ، لأنه قد يخلو من ذلك ، فلو لم يظهر ضميرهما لوقع الالتباس ، ولم يعلم أنَّ الفعل لاثنين أو جماعة))[٢] .

ويعتد أبو البركات بالمخاطَب كثيرا ، لذا يحرص على مسألة أن يأتي الكلام مراعيا لحال السامع ، وعدم التباس الأمر عليه سبباً لكسر اللام في " ذلك" ، فيقول : ((إنها كسرت لئلا تلتبس بلام الملك ، الا ترى أنك لو قلت " ذلك" بفتح اللام ، لالتبس وتوهم السامع أنَّ المراد به أنَّ هذا الشيء ملك لك ، فلما كان يؤدي إلى الالتباس كسرت اللام لإزالة هذا الالتباس))[٣].

ومن خلال ما تقدم نجد أنَّه قد أدرك العلاقة القائمة بين اختيار إحدى صور أو حالات التركيب ، ومراعاة فهم المخاطَب (السامع) للكلام ووضوحه الذي يجعل الكلام مقبولا ، فكان السامع فيصلا في الحكم النحوي .

ب. حال المُخاطَب :

وحال المُخاطَب من الجوانب المهمة التي ذكرها أبو البركات الانباري ، جاعلاً منها مسوغا لمجيء الكلام على الهيئة التي جاء عليها ، فهو يفصل في الحالة التي يكون

(١) المصدر نفسه : ٨٤.

(٢) المصدر نفسه : ٨٤.

(٣) المصدر نفسه : ٣٩٧.

عليها المخاطَب من جهة مدى علمه بالشيء أو جهله به ، إذ تحدد هذه المسألة الحدود التي سيكون عليها الكلام.

وحتى تتحقق حاجة المتلقي أو المُخاطَب من الحديث ، فلا بدَّ من أن يكون الكلام ذا فائدة ، لأن فائدة المتلقي شرط لاستقامة التركيب اللغوي ، لذا يقول أبو البركات : ((ليس في وقوع ظرف الزمان خبراً عنه فائدة ، ألا ترى أنك تقول في ظرف المكان :" زيد أمامك " ، فيكون مفيدا لأنه يجوز ألا يكون أمامك ، ولو قلت في ظرف الزمان : " زيد بوم الجمعة " لم يكن مفيداً ، لأنه لا يجوز عن يوم الجمعة ، وحكم الخبر أن يكون مفيداً ... فإن قيل : كيف جاز الاخبار عنه بظرف الزمان في قولهم : " الليلة الهلال " ، قيل : إنما جاز لأن التقدير فيه " الليلة حدوث الهلال" ، أو طلوعه ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، والحدوث والطلوع حدث))[١] .

فتحقق الفائدة معياراً لصحة التراكيب ، لذا فإنه يختم به كلامه فيقول: ((ويجوز أن يكون خبر المبتدأ ظرف زمان إذا كان المبتدأ حدثاً ، كقولك " الصلح يوم الجمعة " ... ، وذلك لأن في وقوعه خبراً عنه فائدة))[٢].

ونجده أيضاً يجعل من علم المُخاطَب مسوغاً للحذف ، فيعلل حذف الضمير لعلم المُخاطَب ، وهو يعرض لنا صورة من صور التعامل التجاري في بعض أقاليم العالم الاسلامي ،قال:((فأما قولهم : " السمن منوان بدرهم " ، ففيه ضمير محذوف يرجع الى المبتدأ ، والتقدير فيه : " منوان منه بدرهم " ، وإنما حذف منه تخفيفاً للعلم به))[٣].

وهكذا يكون قد أدرك العلاقة بين عنصر لغوي حُذف ، وعنصر اجتماعي خارجي يكون مسوغاً لهذا الحذف وأنَّ النظام اللغوي ما هو الا حصيلة هذه العلاقة بين هذين البعدين

جـ . الحال المشاهدة

ينظر أبو البركات إلى الخطاب اللغوي من زاويتين ، زاوية لغوية تتمثل في بناءه الداخلي الذي تشكله الألفاظ ، وزاوية غير لغوية تتمثل في بناءه الخارجي أو الحال المُشاهدة ، ويمكن تتبع ذلك بشكل واضح في منهجه.

فالحال المشاهدة تقوم مقام إحدى ألفاظ الخطاب اللغوي ، فيحذف ويُستغنى عنه ، زمن ذلك ما جاء في باب الإغراء ، يقول:((فإن قيل : فلِمَ كثر في " عليك و عندك و دونك

(١) المصدر نفسه : ٧٥.

(٢) المصدر نفسه : ٧٥.

(٣) المصدر نفسه : ٧٤.

" خاصة ، قيل : لأنَّ الفعل إنَّما يضمر إذا كان عليه دليل من مشاهدة حال أو غير ذلك ، فلما كان " على " للاستعلاء ، والمستعلي يُشاهد من تحته ، و" عند " للحضرة ، ومن بحضرتك تشاهده ، و"دون " للقرب ، ومن بقربك تشاهده ، وصار هذا بمنزلة مشاهدة حال تدل عليه ، فلهذا أقيمت مقام الفعل))[١].

ومن صور ذلك أيضاً ما ذكره في تفسير وجه الرفع في قولهم " أكلت السمكة حتى رأسها "، فقال: ((والرفع على أن تجعلها حرف ابتداء ، فيكون مرفوعاً بالابتداء، وخبره محذوف، تقديره :" حتى رأسها مأكول"، وإنما حذف الخبر لدلالة الحال عليه))[٢].

وتنبئ هذه العبارة عن بلورة فكرة الحال المشاهدة في ذهنه وإدراكه أبعادها في الخطاب اللغوي .

ومن هذه الوقفات يظهر أن ابن الأنباري كان مدركاً أنَّ الجملة تشكل جزءاً من سياق كلامي موصول ، فتجاوز النظر في ذاتها ، وأخذ يمدُّ بصره إلى ما حولها من عناصر السياق الكلامي والبيئة المحيطة بالكلام ، لذا فإنّه يعتدُّ بالموقف الكلامي كلاً واحداً ، فيغتفر حذف أحد العناصر في الجملة ، إذا كان في سياقها الكلامي دليلا عليه.

الخاتمة: وختاماً ندرج لكم أهم ما توصل اليه البحث ، وعلى النحو الآتي :

١. كان أبو البركات الانباري يدرك تماماً ذلك التلاحم بين اللغة والمجتمع ، وهذا ما اتضح في طريقة تعامله مع اللغة ومن خلال الأمثلة التي عرض لها .
٢. يرى أبو البركات الأنباري أنَّ اللغة تتألف من قطبين أحدهما يتصل بالبناء الداخلي ، ويتصل ثانيهما بعالمها الخارجي ، والتواصل بينهما قائم ومستمر.
٣. تنبه أبو البركات إلى عناصر الموقف الكلامي أو الحدث الكلامي واعتمد عليها في تحليل كلام العرب.
٤. كان أبو البركات صاحب نظرة بعيدة تجاوز فيها النظر الى ذات اللغة بل مدَّ بصره إلى ما حولها ، وكان يعتد بالموقف الكلامي ويغتفر حذف أحد عناصر الجملة لدلالة السياق.

وأخيراً .. أملي أن اكون قد وقفت على المواطن الصحيحة التي تؤيد ما أراد هذا البحث تأكيده وهو القول إنَّ البذور الأولى لعلم اللغة الاجتماعي كانت قد نبتت في حقل الدراسات اللغوية العربية ، وقد تناولت كتاب أسرار العربية ممثلا لها ، على أمل أن أكون قد وفقت في استجلاء دوره في لفت الانتباه إلى الجانب الاجتماعي لمنهج التحليل

---

(١) المصدر نفسه : ١٦٣.

(٢) المصدر نفسه : ٢٦٨.

النحـوي عنـد القـدماء ، ومسـاهمته فـي وضـع بعـض أسـس هـذا العلـم فيكـون بـذلك سـابقا لعلماء اللغة الغرب.

المصـــــــــادر

القرآن الكريم

١. أسرار العربية : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري(٥١٣ ـ ٥٧٧هـ) ، تحقيق : محمد بهجت البيطار ، دار الآفاق العربية ـ دمشق .

٢. الحيوان : أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ـ مصر .

٣. الخواطر الحسان في المعاني والبيان : جبر ضومط ، مصر ١٨٩٦م.

٤. دروس في الألسنية العامة : فرديناند دي سوسير ، ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة ، الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ١٩٨٥م.

٥. علم اللغة الاجتماعي : كمال بشر ، دار غريب للنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٩٧م.

٦. علم اللغة الاجتماعي : هدسن ، ترجمة محمد عبد الغني عياد ، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ، ط١ ١٩٨٧م.

٧. علم اللغة الاجتماعي ـ مفهومه وقضاياه : صبري ابراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ١٩٩٥م.

٨. علم اللغة الاجتماعي ـ مدخل نظري : د. عبد الكريم بوفرة ، جامعة محمد الأول . المغرب.

٩. لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر ـ بيروت.

١٠. اللسان والإنسان : حسن ظاظا ، مكتبة الدراسات اللغوية ـ القاهرة ١٩٧١م.

١١. اللغة في الثقافة والمجتمع : محمد أبو زيد ، دار الكتب للطباعة والنشر ١٩٨٨م.

١٢. اللغة والمعنى والسياق: جون لاينز ، ترجمة د. عباس صادق الوهاب ، مراجعة د. يوئيل يوسف عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ١٩٨٧م.

١٣. محاضرات في اللسانيات الاجتماعية : مجموعة محاضرات ألقاها الدكتور لطفي بو قرة على طلبة معهد الآداب التابع للمركز الجامعي ـ المغرب ٢٠٠٢ـ ٢٠٠٣م.

١٤. معجم علم اللغة النظري : محمد علي الخولي ، مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٨٢م.

١٥. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: نهاد الموسى ، دار البشير للثقافة والعلوم ١٩٨٧م.

References

The Holy Quran:

1. Asrar Al-Arabia: Abu Al-Barakat Abdul Rahman bin Muhammad bin Abi Saeed Al-Anbari (513-577 AH), verified by: Muhammad Bahjat Al-Bitar, Dar Al-Horizon Al-Arabiya - Damascus.

2. Animal: Abu Uthman Omar bin Bahr al-Jahiz (d.255 AH), edited by Abd al-Salam Muhammad Haroun, 2nd edition, Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons - Egypt library and printing press.
3. Al-Khawatir Al-Hassan in Meanings and Declaration: Jabr Doumit, Egypt 1896 AD.
4. Lessons in Public Languages: Ferdinand de Saussure, translated by Salih Al-Qarmadi, Muhammad al-Shawash, and Muhammad Ajayna, Arab Book House - Libya 1985 AD.
5. Sociolinguistics: Kamal Bishr, Gharib House for Publishing and Distribution - Cairo 1997 AD.
6. Sociolinguistics: Hudson, Translated by Muhammad Abdul-Ghani Ayyad, House of General Cultural Affairs - Baghdad, 1st Edition 1987 AD.
7. Sociolinguistics - its Concept and Issues: Sabri Ibrahim Al-Sayed, University Knowledge House - Alexandria 1995 AD.
8. Sociolinguistics - Theoretical Introduction: Dr. Abdul Karim Abundantly, Mohammed I University, Morocco.
9. Lisan Al Arab: Ibn Manzoor, Sader House - Beirut.
10. The Tongue and the Human being: Hassan Zaza, Library of Linguistic Studies - Cairo 1971 AD.
11. Language in Culture and Society: Muhammad Abu Zaid, Dar Al Kutub for Printing and Publishing, 1988 AD.
12. Language, Meaning and Context: John Lines, translated by Dr. Abbas Sadiq Al-Wahab, reviewed by Dr. Yoel Youssef Aziz, House of General Cultural Affairs - Baghdad 1987 AD.
13. Lectures in social Languages: a Group of Lectures given by Dr. Lotfi Boukra to students of the Institute of Arts of the University Center - Morocco 2002-2003.
14. Dictionary of Theoretical Languages: Muhammad Ali Al-Khouli, Lebanon Library - Beirut 1982.
15. The theory of Arabic Syntax in the Light of Modern Arabic Curriculum: Nihad Al-Musa, Dar Al-Bashir for Culture and Science 1987 AD.